e-ISSN 2789-3359

أدب الاعتقال السياسي في المغرب

من المطالبة بالاستقلال إلى محكيات سنوات الرصاص

The literature of political detention in Morocco

From the demand for independence to the tales of the years of lead

إعداد: **إدريس الزهري**، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

Driss Ezzahri:université Ibn Tofail, kenitra, Maroc

الملخص:

تناقش هذه الورقة البحثية تاريخية أدب الاعتقال في المغربالتي تعود به إلى مرحلة الاستعمار الفرنسي، مع تجارب بعض رجال الحركة الوطنية، نذكر من بينهم المختار السوسي في "معتقل الصحراء" وعلال الفاسي: "في منفى الغابون" وعبد الكريم غلاب في "سبعة أبواب" التي كانت مطبوعة بحلم الاستقلال.في مقابل ما أنتجه وأبدعه المعتقلون السياسيون عقب أحداث سياسية كبرى في حكم الملك الراحل الحسن الثاني إثر محاولتين انقلابيتين فاشلتين سنتي 1971 و1972أدت إلى تحول في المناخ السياسي، ساهم في ظهور لون جديد من الكتابة والتأليف والإبداعموضوعها شراسة التعذيب وعنفه، والاختطاف، والاستنطاق، وطول المحاكمات، وعدم حياد القضاة... وما يعرف بـ "سنوات الرصاص" كناية عن وجه مظلم من تاريخ المغرب.

وقد خلصت الدراسة إلى وجود قواسم مشتركة بين الإنتاجات الفكرية والأدبية للنموذجين (ما قبل الاستقلال وبعده)، أولها الحلم بالحرية وحضور عنصر المكان بقوة في أعمالهم، مع اختلاف في البنية الحكائية والسردية لهما، اذ انفتح النموذج الثاني على أجناس أدبية خلاقة مبدعة مثل جنس الرواية والقصة القصيرة، ما مكنها من إنتاج أعمال أدبية مشوقة، بعيدا عن الأسلوب التقريري التسجيلي في النموذج الأول.

الكلمات المفتاحية: أدب الاعتقال، السجن، الحرية، المغرب.

Abstract:

This research paper discusses the history of detention literature in Morocco, which takes it back to the stage of French colonialism, with the experiences of some men of the national movement. Among them, we mention Almukhtar Soussi, in" The desert prison", Allal Al fassi in " Gabon exile", and Abdelkrim Ghallan in " Seven Doors" thatwere charctezid bythe dream of independence. In contrast to what the political detainees produced and created following major political events during the rule of the late King Hassan II following two failed coup attempts in 1971 and 1972 that led to a shift in the political climate, which contributed to the emergence of a new type of writing, authorship, and creativity whose subject is the ferocity of torture and violence, kidnapping, andinterrogation,

the length of trials, the judges' lack of impartiality... The so-called "years of lead" are a metaphor for a dark side of Morocco's history.

The study concluded that there are common denominators between the intellectual and literary productions of the two models (before and after independence), the first of which is the dream of freedom and the presence of the place element strongly in their works, with a difference in narrative and narrative structure;as the second model opened to creative literary genres such as The genre of the novel and the short story, which enabled it to produce interesting literary works, away from the reporter-documentary style in the first model.

Keywords: Literature of detention, prison, freedom, Morocco.

المقدمة:

تشمل كتب الاعتقال السياسي كل ما أنتجه وأبدعه المعتقلون السياسيون، يشاركهم في ذلك السجانون والمحامون والعائلات والأجهزة الأمنية والتنظيمات السياسية والنقابية والثقافية والإعلامية، وبذلك تتسع دائرة هذه الكتابة لتضم رسائل المعتقلين ووثائق المحاكمات السياسية ومحاضر الاستنطاق التمهيدي والتفصيلي ومحاضر جلسات المحاكمات، والروايات الشفوية، اتخذتتعيينا جنسيافي صيغة" الشهادات" و" المحكيات" و" المذكرات" التي حاولت، وصف ما كان يجري في السجون والمعتقلات المرحلة التي سميت في الخطاب الحقوقي المغربي بـ " سنوات الرصاص".

وقد غطت هذه الكتابات مرحلة طويلة امتدت على ما يقارب الأربعين سنة، من السنوات الأولى للاستقلال إلى بداية التسعينيات من القرن الماضي.

أدب الاعتقال السياسي ليس جنسا أدبيا مغربيا محضا، يحضر في الآداب العالمية، له مميزات تبعده عن أدب السجون بصفة عامة، مع ملاحظة جوهرية تتمثل في وجودقاسم مشترك بينها، حيث تتكرر موضوعات متشابهة بين جميع النصوص بتفاوت تتحكم فيه تقنيات الكتابة، كشراسة التعذيب وعنفه، والاختطاف، والاستنطاق، وطول المحاكمات، وعدم حياد القضاة إلا غير أنها

تتحد في كونها" مكنت الجميع من نزع السرية والقداسة عن موضوع ظل في حكم الطابو الكابوسي لأكثر من عقدين من الزمن"[1].

إننا أمام أشهر كتب أدب الاعتقالالسياسي في المغرب، تستوقف القارئ قبل الناقد واجهة الغلاف الأمامي لكتب الاعتقال السياسي، حيث تحضر الصورة كمكون أيقونيبصري تتيه معه عين القارئفي فضاء طبيعي، وصور لشخصيات ملتقطة من زوايا متعددة، ومكون لساني يشرح ويفسر ويحصر معاني الإشارات اللغوية الحاضرة بقوة في رقعة الغلاف، تستدرج القارئ للبحث في ما وراء العتبة النصية الأولى، وتغري الباحث لاكتشاف إبداع أدبي جديد في المكتبة المغربية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في مجازفته ولوج عوالم متناقضة ومختلفة، عالم الأدب بشاعريته وإمتاعه، وعالم السياسة بألوان خطابها، وعالم الاعتقال بسوداويته ورعبه، حيث يتم توقيف أو حجز حرية شخص بدون قرار قضائي بسبب معارضته للنظام في الرأي أو المعتقد أو الانتماء السياسي أو تعاطفه مع معارضيه أو مساعدته لهم أو بسبب مبادئه السياسية.

وتحاول الدراسة البحث عن خيط ناظم بين الأدب والسياسة والاعتقال، وكيف احتضن الأدب معتقلي الرأي وشحذ قدراتهم الفنية والفنية لصياغة إنتاجات أدبية نقلت معاناتهم، وحولت لحظة الاعتقال إلى مناسبة للتأليف كما حصل مع علال الفاسي "في منفى الغابون" والمختار السوسيفي "معتقل الصحراء" وعبد الكريم غلاب في "سبعة أبواب"، في مقابل كتب: " تزممارت، الزنزانة رقم 10" لأحمد المرزوقي، و"من الصخيرات إلى تازمامارت؛ تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم"، لمحمد الرايس، و "حديث العتمة" لفاطنة لبيه.

وباعتماد المنهج المقارن، عقدت الدراسة مقارنة بين نموذجين مغربيين في أدب الاعتقال السياسي، الفاصل بينهما مكون الزمن باعتباره معياراللوقوف عند أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

أسئلة البحث وفرضياته:

ولنا أن نتساءل عن:

- الأجناس الأدبية التي تحاول كتب الاعتقال السياسي اعتمادها في بناء معمارها الأدبي؟
- ماهي أوجه التشابه والاختلاف بين كتب الاعتقال السياسي؟

[1] بحراوي، حسن، (2003)، الرواية والديموقراطية، تأملات في السيرة السجنية بالمغرب، ضمن أعمال ندوة الرواية العربية في نهاية القرن، د.ط، الرباطالمغرب، منشوراتوزارة الثقافة، ص14.

- ما القيمة الإبداعية والفنية لكتب الاعتقال السياسي في المغرب؟
- وهل ترقى هذه الكتب إلى ما أضحى يعرف اليوم بالأدب المركزي؟
- كيف أسس هذا النموذج من الإبداع الأدبي مشروعا جديدا في الأدب الشخصي؟

فرضية الدراسة:

– نفترض وجود خلط منهجي واصطلاحي في التعيين الجنسي لكتب الاعتقال السياسي.

– ونتوقع أنها تدخل ضمن الأدب الشخصي، والكتابة عن الذات.

– أن إبداعات أدب الاعتقال السياسي تحاول تأسيس جنس أدبي لا يزال في مرحلة التأسيس والتطور.

_ أنها تستمد قوتها الأدبية في مكوناتها الحكائية.

منهج الدراسة:

بدهي القول إن المنهج الوصفي المقارن هو الأنسب للبحثفي أدب الاعتقال السياسي خلال مرحلتين تاريخيتين مختلفتين، (الاستعمار / الاستقلال). وذلك عبر المقارنة بين التيمات، والأساليب واللغة والبنى الحكائية، وذلك للتعرف على أوجه الشبهوالاختلاف بينها، مما يمنح الباحث العلمي فرصة للتعرف على كل شيء غامض متعلق بعينة البحث، ويستطيع تفسيرها بكل سهولة.

الدراسات السابقة:

اهتم الباحثون المغاربة بالخصوص بهذا اللون الجديد من الكتابة، بدافع اكتشاف ما ظل غائبا ومغيبا في تاريخ بلادهم في فترة وصفت بـ "سنوات الرصاص"، وهي سنوات الاعتقال السياسي للعديد من السياسيين والنقابيين والعسكريين، في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. الاهتمام كان في بعده الحقوقي والتاريخي أكثر من البحث في أدبيته.

ولعل أبرز دراسة في الموضوع هي كتاب "الحكي الجريح.. قراءات في أدب الاعتقال السياسي بالمغرب"[2]، لمحمد خفيفي، وهو قراءة نقدية لكتابات وإنتاجات بعض المعتقلين السياسيين، من

[2] خفيفي، محمد، (2014) الحكي الجريح، قراءات في أدب الاعتقال السياسي بالمغرب، ط 1، الرباط، المغرب، دار التوحيدي.

أمثال أحمد المرزوقي وصلاح الوديع، جواد مديدش والطاهر المحفوظي، وتوفيقي بلعيد وفاطنة البيه، وعبد الفتاح فاكهاني، وغيرهم.

ثاني الدراسات كتاب "الحقيقة الملتبسة، قراءة في أشكال الكتابة عن الذات"[3]، للناقد المغربي محمد الداهي، أفرد جزءا كبيرا لأدب الاعتقال السياسي بالمغرب، نموذج، "السجينة" لمليكة أوفقير وميشيل فيوتسي، و"درب مولاي الشريف الغرفة السوداء" [4] لجواد امديديش. الكتاب بحث في مشاريع ذاتية مختلفة تبين مدى الالتباس وتعقد العلاقة بين الكتابة والحياة (السير الذاتية، والسير الذاتية والذهنية، ومحكي الحياة واليوميات والمذكرات والتخييل الذاتي).

ثالث الدراسات في كتاب "علامات من السرد المغربي" [5] لعبد المجيد الحسيب، حيث خصص دراسة نقدية بعنوان: البوح الأليم... قراءة في رواية سيرة الرماد" لخديجة مروازي. وفي النموذج الرابع الموسوم بـ"شعرية المحكي السجني في أدب عبد القادر الشاوي الرّوائي"[6] لعلي برعيش التازي. في هذه الدراسة توصل الباحث إلى إن نصي "كان وأخواتها" و"الساحة الشرفية"، تم فيهما تغييب شخصيات سردية ساهمت في إغناء «أدب السجون» بشكل من الأشكال. وتم التركيز في بناء الشخصيات السردية على أولئك الذين عبروا تجربة السجن وعانوا قساوة التعذيب؛ مقابل القفز على الطرف الآخر من المعادلة، ونقصد تحديدا شخصيات المخبر والمحقق والجلاد.

هذا بالإضافة إلى مقالات منشورة في مجلات تحت عناوين مختلفة من بينها مقال في مجلة الفيصل بعنوان "أزمنة الرصاص في المغرب تشعل حرب المذكرات السياسية؛ بحثًا عن الحقيقة الضائعة"[7]، للناقد المغربي صدوق نور الدين، وهي دراسة وصفية لمذكرات بعض الساسة المغاربة.

---

[3] الداهي، محمد، (2007) الحقيقة الملتبسة، قراءة في أشكال الكتابة عن الذات، ط1الدار البيضاء، المغرب، شركة النشر والتوزيع المدارس.

[4] امديديش، جواد، (2007)، درب مولاي الشريف، الغرفة السوداء، ترجمة عبد الرحيم حزل، د.ط، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق.

[5] الحسيب، عبد المجيد، (2011) علامات من السرد المغربي، د.ط، مكناس، المغرب، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

[6] التازي، برعيش، شعرية المحكي السجني في أدب عبد القادر الشاوي الرّوائي، ينظر: https://www.aljabriabed.net/n78_05beriach.(2).htm اطلع عليه يوم 28 يوليوز 2021.

[7] صدوق، نور الدين، أزمنة الرصاصفي المغرب تشعل حرب المذكرات السياسية؛ بحثًا عن الحقيقة الضائعة، ينظر: http://www.alfaisalmag.com/?p=15102 اطلع عليه يوم 15 غشت 2021.

دراسة أخرى اهتمت بمكون" الزمن النفسي في رواية السجن السياسي "تلك العتمة الباهرة أنموذجا"[8]، من إنجاز سمية سليمان الشوابكة، حيث أفردت الدراسة حيزا لرصد رواية السجن السياسي المغربية مشيرة إلى ارتفاع وتيرة نشر عدد كبير من الشهادات والمحكيات الروائية والسير الذاتية السجنية التي تقاسمتها عدة خصائص جمالية ودلالية تتقاطع عند المنزعين الأدبي والتسجيلي.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

مفهوم الأدب:

اتخذ مفهوم الأدب معان متعددة، وكان مثار جدال ونقاش بين اللغويين والبلاغيين لمحاولة تحديد معالمه الاصطلاحية، وما يزال المفهوم محط بحث عند النقاد المحدثين وأصحاب "نظرية الأدب" مع رائدها ويليك رينيه [9]وهي نظرية تهتم بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته " [10].

يوضح لنا هذا المدخل وجود امتدادات كبرى لمفردة (أدب)، ومنها اشتقت كلمة مأدبة وهي الوليمة [11]، حيث يجتمع الناس حول طعام يتناولونه، كما استخدمت الكلمة بمعنى التربية والتعليم والتهذيب.

وفي الاصطلاح فالأدبيشمل كل ما ينتجه عقل الإنسان، وله أثر من آثار تفكيره، مرادفا للفكر والثقافة والتعاليم الدينية والمشاعر الإنسانية والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعبر عنها الأديب بأسلوب جميل رقيق، وينظمها شعرا أو يكتبها قصة أو رواية أو غير ذلك"[12]. بهذا

---

[8]سليمان الشوابكة، سمية، (2015) الزمن النفسي في رواية السجن السياسيتلك العتمة الباهرةأنموذجا، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 42، العدد، 3، ص779–793.

[9]– ويليك رينيه (1903م– 1995م). ناقد ومؤرخ أدبي أمريكي من أصل سلافي، ترك أثرًا عميقًا في تطور النقد الأدبي الحديث والدراسات الأدبية عمومًا، ارتبط اسم ويليك لدى أجيال من الدارسين الغربيين وغير الغربيين بكتاب نظرية الأدب الذي ألفه بالاشتراك مع أوستن وارين ونشر عام 1949م.

يقدم كتاب"نظرية الأدب" مقاطع عرضانية لجميع النظريات التي عالجت الأدب خلال العصور، عبر نقاط تقاطعها أو تقابلها، بحيث يبدو جلياً للعيان استقلال الأدب وبروزه كفن، عبر نظرية للأدب تفصله عن كل الأطر العلمية والحياتية التي تحيط به وتسبب هادة، ارتباكاً وسوء فهم في معالجة الأعمال الأدبية.ينظر مرتاض، عبد العزيز(2007) "نظرية النص الأدبي": الجزائر،، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

[10]–شكري عزيز الماضي: (1993)، في نظرية الأدب، ط 1، بيروت، لبنان، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ص12.

[11]– الرافعي، مصطفى صادق (2003) تاريخ آداب العرب، ط 1، ج 1، لبنان، دار الكتاب العربي، ص21.

[12]– عيد يوسف، (1994) المدارس الأدبية ومذاهبها، بيروت، ط 1، دار الفكر، ص9.

المعنى فإن كلمة أدب " تدور في فلكها أشكال "التعبير، كالقصيدة والقصة والمسرحية والمقالة ... وهذه الصور المختلفة من التعبير الأدبي تكوّن ما يسمى بالأنواع الأدبية"[13].

مفهوم السياسة:

أما مفهوم السياسة في اللغة فتعني الاضطلاع بأمر ونهي الرعية، وتدبير أمورها، وتولية شؤونها. تقول العرب:" ساس فلان القوم، أي رأسهم، وسوس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم" [14]وفي هذا المعنى يقول الحطيئة[15]:

لَقَد سُوِّستِ أَمرَ بَنيكِ حَتّى تَرَكتهم أَدَقَّ مِنَ الطَحينِ

اصطلاحا، فإن السياسة هي فن الحكم، والرجل السياسي من يمارس أعمال الإدارة المدنية، وهو أيضا الحاكم الرسمي الموجه الناصح"[16]، بهذا المعنى تنصرف السياسة إلى فن الحكم وأساليبه وطرقه.

وقد كانت السياسة في عرف المسلمين الأولين منوطة بالإمامة والخلافة، فعرفها الماوردي بقوله:" الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنياّ"[17]

ولا غرو أن نجد من يعتبر السياسة مظلة واسعة تكون الإيديولوجيا أحد فروعها، فنجد في المغرب على سبيل المثال أحزابا يسارية، وأخرى محافظة وثالثة ليبرالية. السياسة تتمثل في "أسلوب الحكم، وطريقة الإدارة السياسية، وكيفية صنع القرار السياسي وتنفيذه من خلال المؤسسات السياسية الحاكمة والمعارضة"[18]. ويذهبالمفكر المغربي محمد سبيلا إلى اعتبار السياسة "أكثر الممارسات الإنسانية تعقيدا وتشابكا، إذ تلتحم وتتناغم في الفعل السياسي كل مكونات وأبعاد الواقع الإنساني، ففيها يلتقي الواقع بالوهم، والوعي باللاوعي، والمعطى العيني بالمتخيل، مثلما تتضافر كل أبعاد

[13] –إسماعيل، عز الدين، (2013)، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، ط 9، القاهرة، دار الفكر العربي، ص69.

[14]– ابن منظور جمال الدين بن مكرم، (2003)، لسان العرب، ج 7، **(مادة سوس)**، بيروت، دار صادر، ص301.

[15]– الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك العبسي، (1993)، ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق مفيد محمد قميحة، ط 1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص187.

[16]–الحوفي أحمد محمد، (د.ت)، أدب السياسة في العصر الأموي، د.ط، بيروت لبنان، دار القلم ص7.

[17]– الماوردي، علي بن محمد بن جبيب، (د.ت) الأحكام السلطانية، د.ط، القاهرة، مصر، دار الكتب العلمية، ص5.

[18] وادي، طه(1996)، الرواية السياسية، ط1، القاهرة، مصر، دار النشر للجامعات المصرية، ص37.

وعناصر الواقع الإنساني، النفسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية في وجهها الواقعي واليوتوبي" (19).

الأدب السياسي:

حين نقول الأدب السياسي، نزج بقوة الأدب في حضن السياسة، نلبسه ثوبها ونخضعه لسلطتها، لكن يذهب البعض إلى اعتباره "فنا من القول يتصل بنظام الدولة الداخلي، أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدول [20]وهو "الفن القولي–شعرا وكتابة وخطابة وحوارا– الذي يتعاطى شؤون الحكم تأييدا أو تفنيدا، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم سواء صدر هذا الأدب من السلطة السياسية أم من معارضيها. الأدب السياسي هو كل ما يتخذ القضايا والموضوعات السياسية مادة له، مدحا أو قدحا، تأييدا أو تفنيدا" [21].

الأدب السياسي هو الأدب الذي له علاقة بالقضايا السياسية، وهو" إما أن يكون أداة بناءٍ وإما أن يكون أداة هدم فيالمجتمع. فقد يعارض الأدب السياسي السلطة السياسية ويحاول تعديل سلوكها خدمة لقضايا الناس، وقد يمالئ الأدب السياسي السلطة السياسية ويسير في ركابها فيصبح بوقاً إعلامياً لها، الأمر الذي يكرس سطوتها ويتيح لها تنفيذ برامجها السياسية"[22].

يُعدّ الأدب السياسي، بالإضافة إلى كونه محرّكاً للجماهير وعاملاً مؤثرا في الأوضاع الاجتماعية والسياسية للمجتمعات، أداة فاعلة للتأريخ للأحداث السياسية البارزة في حياة المجتمعات.

إن السلطة السياسية في صراع مستمر مع الأدب والأدباء، لاسيما مع الملتزمين منهم. وهي في سعي دؤوب للتأثير في الأعمال الأدبية التي تتناول القضايا السياسية على وجه الخصوص، وتحاول على الدوام استمالة الأدباء وكسبهم إلى صفها بالترغيب والإغراء بالمال والجاه والمناصب، وتتعامل معهم بالترهيب والعنف والقمع إذا لزم الأمر لترسيخ هيمنتها وضمان استمرارها.

---

[19] سبيلا، محمد، (2010)، للسياسة، بالسياسة، ط 2، الدار البيضاء المغرب، أفريقيا الشرق، ص5.

[20] محمد علي محمد، (1969)، الشعر السوداني في المعارك السياسية، (د.ط)، القاهرة، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ص9.

[21] الحوفي، أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، مرجع سابق، ص8.

[22] المومني رؤى حيدر، (2019) مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2المجلّد 46 ص361–378.

إلا أن هناك التباسا في علاقة الأديب بالسياسة، تلك العلاقة تحكمها ظروف، اقتصادية واجتماعية، وثقافية، ونفسية أيضا تؤثر في العملية الإبداعية، إضافة إلى عوامل أخرى كالسقف المتاح للكتابة والإبداع، ومساحات حرية التعبير والرأي.

والواقع أن الأديب نادرا ما يتجاهل الخوض في القضايا السياسية، فالإبداع الأدبي يولد من رحم المعاناة، والمآسي، بل أكثر من ذلك، يتأثر بالمصائب والحروب وعوادي الزمن. وأمام أحداث سياسية متلاحقة شهدها العالم العربي في الخمسين سنة الأخيرة ظهرت مفاهيم ذات دلالات سياسية، أذكر منها:(أدب الحرب) و(أدب الثورة) و(الشعر السياسي) و(أدب السجون) و(أدب الاعتقال السياسي) و(أدب المقاومة) و(أدب الانتفاضة).

أدب الاعتقال السياسي:

قبل تعريف هذا اللون من الأدب السياسي، يجب أن نعرف الفرق القانوني بين الاعتقال والسجن والحبس.

هناك فرق ما بين السجن والحبس والاعتقال، أي ما بين الفترة الزمنية التي يقضيها المتهم في المكان المحتجز فيه، أو المكان المخصص للاحتجاز. وتعمل القوانين على إظهار الفوارق بين كل حالة من كل تلك.

وقد نظم المشرّع المغربي الاعتقال الاحتياطي في القسم الثالث من الكتاب الأول المتعلق بالتحري عن الجرائم ومعاينتها في المواد 159 ومن 175 إلى 188من قانون المسطرة الجنائية.

وهنا نجد أن "الاعتقال الاحتياطي من أهم إجراءات التحقيق وأخطرهاعلى الإطلاق والتي يمكن أن تمس بحرية المتهم سواء أثناء القيام بهذه الاجراءات أو أثناء المحاكمة، وهو تلك الفترة التي يقضيها المتهم على ذمة التحقيق بسبب جناية أو جنحة منسوبة إليه أو خلال فترة المحاكمة قبل صدور حكم مكتسب لقوة الشيء المقضي به، وقد أكدت المادة 159 من قانون المسطرة الجنائية[23] المغربي على أن الوضع تحت المراقبة القضائية والاعتقال الاحتياطيتدبيران استثنائيان، يعمل بهما في الجنايات وفي الجنح المعاقب عليها بعقوبة سالبة للحرية.

ويرمي الاعتقال الاحتياطي إلى وضع المتهم في السجن، ويصدر في شكل أمر بالإيداع في السجن إذا كان حاضرا أو إلقاء القبض عليه إذا كان في حالة فرار، وتبلغ هذه الأوامر فورا وشفهيا للمتهم، ويسجل هذا التبليغ في محضر ويبلغه أيضا إلى ممثل النيابة العامة داخل أربع وعشرين

[23]– ظهير شريف رقم 255.02.1 صادر في 25 من رجب 1423 (3 أكتوبر 2002) بتنفيذ القانون رقم 01.22 المتعلق بالمسطرة الجنائية.

ساعة، ويحق للمتهم أو دفاعه تسلم نسخة من الأمر بالاعتقال الاحتياطي بمجرد طلبه[24]. والواضح أن الاعتقال مظهر من مظاهر سلب الحرية غير محدد بمدة الاعتقال.

أما السِّجن بكسر السين هو المكان الذي يسجن فيه الإنسان، ومنه قوله تعالى: "ربِّ السِّجن أحب إلي مما يدعونني إليه" [25]، وقد يجيء السجن بالفتح على المصدر، يقال سجنه يسجنه سجناً، أي حبسه [26]. ويأتي الحبس بمعنى المنع والإمساك، والمحبس هو المكان الذي يتم فيه الحبس [27].

أدب الاعتقال السياسي في المغرب:

أصبح أدب الاعتقال السياسي اليوم رافدا من روافد الأدب المغربي المعاصر، رغم كونه أدبا غير متجانس، ساهم فيه السياسيون والعسكريون والأدباء.

في فترة الاستعمار الفرنسي للمغرب، يمكن القول إن هذا اللون الإبداعي أقرب إلى أدب المنفى، وبعد حصول المغرب على الاستقلال اعتبر مصدرا يؤرخ لمرحلة شهدت أحداثا سياسية كبرى في تاريخ حكم الملك الراحل الحسن الثاني(1961–1999) ومحاولتين انقلابيتين فاشلتين سنتي 1971 و1972 أدت إلى تحول في المناخ السياسي، وظهور شكل جديد من الكتابة والتأليف والإبداع.

إن وفرة الإصدارات المرتبطة بأدبيات الاعتقال السياسي تزامن إلى حد بعيد مع انخراط المغرب فيما اصطلح عليه "الإنصاف والمصالحة" وهو "رهان قوي لبناء دولة الحق والقانون ودولة المؤسسات، وإصرار متقدم وعال من أجل تجاوز كل ما من شأنه أن يشكل عقبة أمام الانخراط الكلي في بناء مصالحة حقيقية منصفة وعادلة" [28].

صوت معظم المعتقلين السياسيين يقول إن كتاباتهم "لا تنجز بهدف تحقيق مجد شخصي، ولكن بهدف أداء «واجب أخلاقي» تجاه أولئك الذين مرُّوا من نفس التجربة، دون أن يستطيعوا التعبير عنها لسبب من الأسباب"[29]

---

[24]– نصت المادة 175 من ق م ج على ما يلي:" يمكن إصدار أمر بالاعتقال الاحتياطي في أي مرحلة من مراحل التحقيق، ولو ضد متهم خاضع للوضع تحت المراقبة القضائية.

[25]– سورة يوسف الآية 33.

[26]–الفيروز آبادي، (د.ت)، القاموس المحيط، ط 4، ج4، عمان الأردن، دار المأمون، ص233.

[27]– –الرازي، محمد بن أبي بكر، (د.ت)، مختار الصحاح، (د.ط) بيروت، لبنان، دار الفكر، ص21.

[28]–خفيفي، محمد، الحكي الجريح، قراءات في أدب الاعتقال السياسي بالمغرب، مرجع سابق، ص150.

[29]–Bernadette Morand: les écrits des prisonniers politiques. Op. cit. PP: 14–57.

في أدب الاعتقال السياسي المغربي يجب التمييز بين تجربة العسكريين "المرزوقي نموذجا"، وتجربة معتقلي اليسار" مع "عبد الفتاح فكهاني"، وتجربة معتقلي الرأي يمثلها "جواد امديدش". هذه التجارب يمكن الحديث عنها ضمن وحدة فكرية أو إيديولوجية بل وأدبية متشابهة، ففيها تحضر تجربة تازمامارت وتجربة درب مولاي الشريف وتجربة سجن القنيطرة، وفي تجارب أخرى تجربة قلعة مكونة ودار المقري... القاسم المشترك بينها سلطة الاعتقال، والمعاناة والرغبة في فضح انتهاكات جسيمة لحق الإنسان في الحرية والتعبير والعيش الكريم. التفاوت بين تجارب أدب الاعتقال السياسي في الصياغة الأدبية والإبداعية.

تاريخية أدب الاعتقال كما أشرنا تعود إلى مرحلة الاستعمار الفرنسي، وفجر الاستقلال مع تجارب بعض رجال الحركة الوطنية، نذكر من بينهم المختار السوسي في "معتقل الصحراء" وعلال الفاسي "في منفى الغابون"، وعبد الكريم غلاب في "سبعة أبواب".

وقد اتخذ الشكل الجديد في الكتابة "مفاهيم متعددة، فاتسع الحقل الدلالي ليشمل أدب السجون، وأدب الاعتقال، والسيرة السجنية، والكتابة السجنية، ومحكيات السجن، ومحكيات الاعتقال، وشهادات حول الاعتقال. إنه مفهوم "يتسع لكل الأنواع الأدبية، ففيه الرواية والشعر والرسائل والمحكيات واليوميات، كما ضم الكاريكاتور ممثلا في تجربة محمد النضراني وكذا الصور bandes dessinées كما عبر عنها عبد العزيز مريد في كتابه:"إنهم يجوعون الفئران"[30].

ونفى الباحث محمد خفيفي " اعتبار السرفاتي ومحمد الرايس وصلاح الوديع وجواد مديدش وعبد القادر الشاوي وإدريس ولد القابلة والنضراني سجناء فقط، فصكوك الاتهام التي دبّجها لهم المحققون، تحت وطأة التعذيب، لها حيثياتها التي يمكن التمييز فيها بين السجناء والمعتقلين، والتي يحضر فيها الانتماء لمنظمات سرية غير قانونية والإخلال بالأمن العام وحيازة السلاح والمنشورات والتحريض، أو المساهمة في أحداث كان الهدف منها الاستيلاء على السلطة وقلب النظام"[31] .

وأوضح أن "المعتقل السياسي هو ذلك الشخص الذي تم توقيفه أو حجز حريته بدون قرار قضائي بسبب معارضته للنظام في الرأي أو المعتقد أو الانتماء السياسي أو تعاطفه مع معارضيه أو مساعدته لهم أو بسبب مبادئه السياسية"[32]

[30]– خفيفي، محمد، الحكي الجريح، ص13.

[31]– نفسه، ص12.

[32]– نفسه، ص12–13.

من الحرية إلى الأسوار المغلقة للمعتقلات والسجون وجد القارئ المغربي نفسه أمام منتوج جديد، ساهمت الصحف الحزبية والمستقلة من جعلها مادة دسمة لإغراء القراء بها، بتصوير المغرب باللونين الأبيض والأسود.

غير أن أدب الاعتقال السياسي، منهجيا، نقلص فيه من هذا الكم الوافر من الإنتاج المتعدد لنخص به" الكتابات الأدبية التي دونت لظاهرة الاعتقال في تجلياتها الأدبية الفنية من خلال التعبير الأدبي المتميز، في شكل محكي ذاتي، يستبطن الذات ويعيد استحضار لحظات القهر والتعذيب والعزلة بعيدا عن مجتمع الضوء"[33].

كتب ما قبل الاستقلال:

من أشهر كتب الاعتقال السياسي في المغرب، كتاب"في منفى الغابون 1937 – 1946" لزعيم حزب الاستقلال، علال الفاسي، نقرأ في نسخته الورقية مادة أدبية تمزج بين أدب الترسل، ومنتخبات شعرية نظمها المعتقل المنفي في شعر الاغتراب والشوق والحنين والعودة إلى الوطن مع لمسة رومانسية في قصائد لزوجته نقرأ بعض الأبيات منها [34]:

حَبيبتي ليس هذا البعد يفصلنا ولا المنية تنئـي عنك مـولاك

أنا بحبّك مسرورٌ ومغتبـط والحُب لابُد يدنيـني لملقـــاك

دُومي على ثقة بالحب إنّ له سريرةً طالـما أولتك بغيـــاك

ولي بحضنك أربون وضعت به نـــوار حبـي فـواحـا بليـلاك

نظمتُها باقة زهـراء عاطـرة من روض روحي بها الاخلاص حياك

عكس تجربة معتقلي ما بعد الاستقلال التي تتقاسم نفس الهموم والطموحات، وتحضر في كثير من ورقات أعمالها الأدبية محكيات التعذيب والتجويع والترهيب والموت، إلا أننموذجعلال الفاسي أحد معتقلي حقبة الاستعمار الفرنسي للمغرب مغايرا في الأسباب والنتائج. حيث كان إبعاده محاولة من فرنسا للتخلص منه ومن رفاقه الذين أشعلوا نار الثورة على المستعمر. وقد دون مرحلة المنفى في كراسة جمعت بين المذكرات اليومية والقصائد الشعرية.

[33]– نفسه ص13.

[34]الفاسي، علال، (2004)، في منفى الكابون 1937 – 1946، إعداد وتقديم عبد الرحمان بن العربي الحريشي، ط.1، الرباط، المغرب، منشورات مؤسسة علال الفاسي، ص239.

ويعترف الفاسي قائلاً: "والحق أنني منذ اعتقلت حتى إعلان ثورة دي جول لم يكن بالممكن لي أن أقوم بأي عمل إلا الاحتجاج على سوء المعاملة، والمطالبة بحقوق المسجون السياسي، وما يقع في مناقشاتي العادية مع الضباط الذين كانوا يتعاقبون على حراستي، ولكن الهدنة الفيشية وثورة الجنرال دي جول أتاحتا لي سبيلا لرفع صوت المغرب وبذل مجهود متواضع في خدمته" [35]. موضحا أن الاعتقال مناسبة للاتصال والتواصل مع كبار مسؤولي فرنسا" كتبت رسالة للجنرال ديجول بواسطة الجنرال سيسي أقص عليه بعض ما جرى بيني وبين القومندان روجي وأقول له إن المغرب الأقصى المرغم على استمراره في نظام من العصور الوسطى، والذي يرغب في تطور شبيه بما وصلت إليه مصر والعراق لا يمكنه أن يقبل تجديد الاحتلال من ألمانيا أو إيطاليا، وهو يعتقد أن حكومة حقيقية لفرنسا الحقيقية جديرة بأن ترضيه بتحقيق أمانيه القومية.

لست أريد أيها الجنرال أن أحدد في هذه الرسالة مطالبنا، ولكني أريد أن أؤكد أنني شخصيا لا أرغب في جاه ولا مال، وإنما أرغب في مصالح وطني وحقوقه.ورئيس الحزب الوطني المبعد منذ خمسة أعوام لا يريد إلا أن يعرف السياسة الجديدة التي ستدشنونها فيما يخص المغرب الأقصى.إنني لا أمثل شيئا من ذاتي، وإنما قيمتي فيما أتمتع به من ثقة الشعب، وفيما سأحمله لأمتي من نتائج عملكم الرسمي.إن ليوطي الذي تحترمونه لم يرتكب أخطاء نوجيس وأمثاله، وقد أعرب عن ندمه على كثير من أنواع السياسة التي اتبعها بنفسه.

ولقد أيد الكثير من الفرنسيين حركتنا، فإذا كانت سياسة سعادتكم تتفق مع سياستنا نحن فإنه من الممكن لي أن أفعل"[36].

مضيفا، "وقد اتفقنا أخيرا على أن يوجه ليوتنان برقية لحكومة فرنسا الحرة يبلغها فيها خلاصة مذاكراتنا، وقد بعث البرقية التالية: تفاوضت مع الأستاذ علال الفاسي، وهو يقبل التعاون مع فرنسا الحرة على تحرير شمال افريقيا من ضغط المحور بشرط الاعتراف الناجز باستقلال المغرب، والسيد علال صريح ويتكلم في استقامة ووضوح، ويتمتع زيادة على نفوذه في المغرب بثقة كثير من زعماء العرب"[37].

ونجد في هذا النموذج الاعتقال مناسبة للحوار وشرح مطالب الحركة الوطنية، "ثم أقمت في برازافيل سبعة أشهر كنت أجتمع أثناءها بمختلف الشخصيات الرسمية التي ترد على عاصمة الكونغو، وأدافع أمامهم بكل حرارة عن الفكرة الوطنية التي اعتقلت من أجلها، كما أشرح لهم وجهة

[35] نفسه ص220.

[36] نفسه ص222–221

[37] الفاسي، علال، (2004)، في منفى الكابون1937 – 1946، مرجع سابق، ص223.

النظر العربية في تونس والجزائر وسوريا ولبنان وأدافع عنها بقدر المستطاع. وفي يوليه سنة 1941 وصلت برقية من الجنرال دي جول للولاية العامة يقول فيها: لقد درست قضية الفاسي والمغرب وسأحمل معي الملف لبرازافيل"[38].

نموذج آخر مع العلامة والفقيه محمد المختار السوسيفي كتابه "معتقل الصحراء" الذي شكّل فعلا ثقافيا وإبداعيا في ذات الآن، بالقياس إلى حجم الواقع الأدبي الذي عاشه وعايشه، حيث تبدى ذلك واضحا من خلال انشغاله بتدوين كل ما يرى لذكره فائدة للتاريخ. ومن ثمة، كانت كتابته، بمعنى من المعاني، سفرا في الزمان والمكان حينا، وفي الذاكرة والوجدان حينا آخر.إنها كتابة تشهد على مرحلتها، من خلال توريط صاحبها في الدخول مع القارئ، بكيفية أو بأخرى، في عرض تفاصيل زمنها التاريخي وبحث ملامحه وكشف أسراره الملغزة.

إن تجربة الاعتقال والنفي إلى تنجداد وأغبالو نكردوس ساهمت في تأليف المختار السوسي كتاب" معتقل الصحراء"بجزأيه الأول والثاني، ويدخل هذا المؤلف ضمن المؤلفات المختصة بتأريخ الحركة الوطنية بالمغرب وكفاحها من أجل استقلاله، ويعتبر شهادة تاريخية عن فترة هذا النفي أو الاعتقال، ويجمع كذلك بين السيرة الذاتية للمؤلف وتأريخه للأحداث التي وقعت في تلك الفترة، خصّ بها الجزء الأول من الكتاب المذكور الذي نشر سنة 1982م، أما الجزء الثاني الذي ما يزال مخطوطا، فهو يعتبر وثيقة تاريخية نادرة، جعلت مؤلفه يعتبر من القلة النادرة من المؤلفين أو من رجالات الوطنية الذين حرصوا على تدوين مذكراتهم في المعتقلات والمنافي، ويقدم لنا وضعا شاملا لحياة وكفاح قادة الحركة الوطنية، ويمكن اعتباره أيضا من أهم المواد التي يمكن دراستها في مادة الفكر المغربي في عهد الحماية.

لهذا كله فإننا سنلقي نظرة على الجزء الثاني من هذا الكتاب معتقل الصحراء، الذي أفرده المؤلف لتراجم من عاشرهم في معتقل أغبالو نكردوس من وطنيي قادة الحركة الوطنية. وتعتبر تراجم هذه الشخصيات وثائق تاريخية هامة قلما توجد في مؤلف آخر على حد تعبير المؤلف وتلقي نظرة عامة عن كل المعتقلين، وهذه التراجم من أفواههم، وتعتبر (إن صح التعبير) كمحاضر للشرطة يجلس فيها المترجم أمام المؤلف، ويسرد عليه حياته الكاملة قبل الاعتقال، ونقرأ ذلك جليا في تراجم المخطوط: فمثلا يذكر المؤلف نسب المترجم ومفتتح حياته وثقافته، وكيف تلقى الوطنية وأعماله فيها، وكيف تم اعتقاله ومستفاده منه وأمنيته المستقبلية.كل هذه الأسئلة يجيب عنها المترجم، والمؤلف يدون ذلك، ثم يذكر جامع الكتاب بعد ذلك ما عرفه عن المترجم وما رآه منه، ولا يفوتنا كذلك أن نذكر أن المؤلف عندما هيأ هذا المؤلف للطبع. وقد كان ينوي طبعه قبيل وفاته أضاف

[38] نفسه، ص244.

في آخر كل ترجمة تعقيبا صغيرا تحت كل منهما، يبين فيه ما أصبح عليه المترجم بعد الاستقلال وأعماله التي يمارسها[39].

نستنتج إذن أن المعتقل استفاد من تجربة الاعتقال وجعلها مناسبة لتسجيل وتدوين أعلام المقاومة في الجنوب المغربي، يقتنص اللحظة التاريخية بشكل عفوي وتلقائي، مستمدا عونه في ذلك، من قيمة الزمن، باعتباره ثروة لا تعوض.

في النموذج الثالث لا يمكن إغفال كتاب الأديب الصحافي عبد الكريم غلاب في رائعته" سبعة أبواب"[40] يحضر أدب الاعتقال في معالمه الكبرى (السجن، التعذيب، الإعدام) ومن ذلك قوله:" وفي السجن كان الوطنيون المغاربة يذوقون كل أنواع التعذيب والتنكيل، ولكنهم مع ذلك كانوا يظلون صامدين، فلا طغيان المستعمر يخيفهم، ولا تهديد الدخلاء يرهبهم، بل أكثر من ذلك فإنهم كانوا يتمنون لو أطلق سراحهم ورأوا نور الحرية من جديد ليعودوا مرة أخرى إلى المشاركة في العمل الوطني الذي اشتاقوا إليه، وليساهموا في تحرير الأمة المغربية من السجن الكبير الذي كانت تعيش فيه تحت حكم الاستعمار وهيمنته، غير أن أمنيتهم لم تكن لتتحقق إلا بعد أن يقضوا شهورا وسنوات داخل الزنزانات والكهوف – إن لم يكن قد حكم عليهم بالإعدام أو بالسجن المؤبد – في قبضة المحتلين الذين كانوا يحسبون أنهم يعدمون بذلك الحركة الوطنية ويقبرونها"[41]

ينقل غلاب حدثا طريفا لمحاولة فرنسة المغاربة داخل السجن فقد سجل ملاحظته في "سبعة أبواب ننقل جزءا منها:" من جملة ما لاحظت أن الفرنسيين كانوا يحاولون فرض لغتهم على سائر المسجونين المغاربة، كما فرضوا هذه اللغة في المدارس المغربية وجعلوها اللغة الرسمية للتعليم، إذ كانوا يرغمون هؤلاء المسجونين كذلك على أن يتكلموا باللغة الفرنسية دون اللغة العربية (... تلفت حارس البوابة إليّ في لهجة آمرة:

– قل "بريزان".

قلت بالعربية:

---

[39]السوسي، رضى الله، (2005) العلامة محمد المختار السوسي، المؤرخ للوطنية، مستفاد معتقلي أغبالو نكردوس، نشر في جريدة التجديد المغربية بتاريخ08 أكتوبر 2005. ينظر:
https://www.maghress.com/attajdid/20050، اطلع عليه يوم 25 يوليوز 2021م.

[40]أصدر عبد الكريم غلاب رواية سبعة أبواب في بداية الستينيات، بعنوان مغاير هو: مذكرات سجين، مسلسلة في جريدة العلم ابتداء من تاريخ 1961/1/20. انظرالمودن، عبد الرحيم، (1991) "السارد والحكاية: قراءة في "سبعة أبواب""، مجلة آفاق، عدد 2، الرباط. المغرب، ص128.

[41]غلاب، عبد الكريم، (د.ت)، سبعة أبواب، ط 1، القاهرة، مصر، دار المعارف، ص120.

– حاضر.

وارتفع صوت الحارس واشتدت لهجته وأخذت يداه تشيران إشارات عنيفة:

– قل: بريزان. بريزان.

– قلت في صوت هادئ ضعيف: بريزان)[42].

وبعد ستة أشهر قضاها في السجن أطلق سراحه وانتهت بذلك رواية «سبعة أبواب» التي تصور جانبا من الكفاح الوطني ضد الاستعمار و"ارتسامات سجين وطني إزاء ما يقوم به الوطنيون من نشاط خارج السجن، بالإضافة إلى أنها تمنحللقارئ نظرة ليست بالخيالية عن التجربة الحية التي عاشها غلاب في السجن وتحكي الأحداث الحقيقيةداخل زنزانته، مما جعل روايته هذه من جهة أقرب إلى فن السيرة الذاتية منها إلى الفن الروائي الخالص، ومما أضفى عليها من جهة أخرى صبغة من الواقعية وجعلها خالية من كل اختلاق للمبالغات الساذجة أو افتعال للأحداث الغريبة" (43).

ما بعد الاستقلال:

حققت كتابات المعتقلين السياسيين في مغرب ما بعد الاستقلال نسبة عالية من المقروئية مقارنة مع باقي الانتاجات الأدبية والفكرية، " ولعل السبب في ذلك يعود لرغبة المغاربة في معرفة تفاصيل مرحلة دقيقة من تاريخ المغرب المعاصر، مرحلة اتسمت بحدة التوتر بين الدولة ومعارضيها"[44].

إن المتابعة النقدية لهذا الإنتاج المتدفق"لم تتجاوز التعليقات المقتضبة والمختزلة عن هذا الكتاب أو ذاك، ولم تتجاوز بعض الدراسات المعدودة لأقلام لامست جزءا من القضايا المرتبطة بإشكالات كتابة الاعتقال السياسي في المغرب" [45].

أشهر كتب الاعتقال السياسي في تاريخ المغرب المعاصر، نسجت قصصا وحكايات، عن آلام المعتقل وآماله، أذكر من بينها: "مجنون الأمل" لعبد اللطيف اللعبي، سنة 1983، "كان وأخواتها" لعبد القادر الشاوي 1986، و"المغرب من الأسود إلى الرمادي" لإبراهيم السرفاتي 1998، و"العريس" لصلاح الوديع 1999، و"تازمامارت، الزنزانة رقم 10" لأحمد المرزوقي2000، و"درب

[42] غلاب، عبد الكريم،(د.ت) سبعة أبواب، مرجع سابق، ص63.

[43] فطري، أحمد، (1982)، الأدب السياسي عند عبد الكريم غلاب، ط1الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، ص112–113.

[44] خفيفي، محمد، الحكي الجريح، ص8.

[45] خفيفي، محمد، الحكي الجريح، ص8.

مولاي الشريف الغرفة السوداء" لجواد مديديش 2000، و"من الصخيرات إلى تازمامارت؛ تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم"، لمحمد الرايس 2000، و"سيرة الرماد" لخديجة مرزاوي 2001، و"حديث العتمة" لفاطنة لبيه 2001، و"تلك العتمة الباهرة"، للطاهر بنجلون2002، و"الممر، شذرات من حقائق سنوات الرصاص" لعبد الفتاح فكهاني 2010 و"عائد من المشرحة" لأحمد حو، 2021 وغيرها.

يقدّم "أحمد المرزوقي" في سيرته الروائية "تزممارت – الزنزانة رقم 10" شهادة مؤلمة وقاسية عن ثماني عشرة سنة قضاها معتقلاً في سجن رهيب، لم يكن يعرف بوجوده أحد.

ففي عام 1971 وجد طلاب مدرسة أهرمومو العسكرية (شمال شرق المغرب) أنفسهم متورطين في محاولة انقلاب على ملك المغرب "الحسن الثاني"، من دون أن يكونوا على علم بما يفعلونه، إذ تمّ إيهامهم بأنهم سيقومون بمهمة هدفها محاصرة عناصر ثورية احتلت بنايات عدة في بلدة "الصخيرات" الساحلية القريبة من العاصمة الرباط. فتوجه الجميع إلى القصر الملكي الذي لم يكن معروفاً لهم آنذاك، وبدأوا بتنفيذ أوامر الكولونيل "محمد أعبابو"، مطلقين الرصاص، مقتحمين القصر لتنفيذ المناورة، ليفاجأوا أنهم خدعوا، وأن ما يفعلونه هو محاولة انقلاب.

يروي الكاتب كيف فشلت محاولة الانقلاب، وكيف أعدم مدبروه من الجنرالات والضباط الكبار، في حين تم تحويل جميع العسكريين من الرتب الأدنى إلى محاكمة عسكرية، وحكموا بالسجن. بعد سنتين من السجن جرى نقل السجناء وترحيلهم إلى معتقل "تزممارت"، السري آنئذ.

للمرزوقي ذاكرة قوية في سرد الأحداث بأدق تفاصيلها نورد بعضا منها: "كنا في بداية مجيئنا إلى تزممارت، 58 ضابطاً وضابط صف، وزعنا على عنبرين، كل عنبر يحتوي على 29 زنزانة. كانت الزنزانة رقم 1 توجد على يمين مدخل العنبر الأول والزنزانة رقم 29 توجد على يساره. أما في العنبر الثاني، فكانت الزنزانة رقم 30 توجد على يمين المدخل والزنزانة رقم 58 توجد على يساره. وكانت الزنزانة رقم 15 والزنزانة 44 في كلا العنبرين توجدان قبالة الباب تماماً، الشيء الذي كان يجعل منهما موضعاً استراتيجياً للتصنت المستمر على أحاديث الحراس عندما كانوا يجلسون على عتبة الباب في انتظار قدوم إناء الطعام. وقد كان الدهليز الذي يفرق بين صفي الزنازين بمسافة مترين تقريباً مضاء بشكل ضعيف بواسطة بعض المصابيح الكهربائية الخابية التي كانت خيوطها

المدلاة المغبرة وكراً لأنواع لا حصر لها من العناكب. مصابيح كانت لا تشعل إلا عند قدوم الحراس وتطفأ مباشرة بعد خروجهم"[46].

ولا يخفي الكاتب اعتماد الذاكرة في استرجاع الأحداث وتدوينه ابالقول"حين أرجع بذاكرتي إلى الوراء، أجد بأن الأشهر الثلاثة الأولى قضيناها في معتقل تزممارت، كانت من بين الفترات الأقل محنة وعذاباً، وذلك بسبب عاملين اثنين: الأول هو أن التغذية كانت مقبولة كما رأينا، والثاني هو المعاملة الحسنة لرئيس الحراس لنا، الشيء الذي دفع باقي الحراس إلى تقليده وهم يعتقدون أن مقامنا في تلك القبور لن يدوم إلا قليلاً. لقد كان أحمد خريوش ضابط صف برتبة ساعد أول. رجل مربوع القد، مكتنز الجسم، كان وقتئذ قد جاوز ستين بقليل، تفيض عيناه الضاحكتان أبدا بطيبوبة أبوية عميقة. ساهم كثيراً في التخفيف عنا من خلال مبادرات إنسانية شجاعة كانت تتمثل في ترك النويفذات مفتوحة علينا ومدناً بما يكفينا من الماء وخبز وسكر وتمر وتين"[47] .

يخصص الكاتب فصلا كاملا من كتابه يوثّق فيه أسماء جميع المعتقلين الثمانية والخمسين وأرقام زنزاناتهم، كما يوثق أسماء الحراس المسؤولين عنهم معطياً لمحات قصيرة عن كل واحد منهم مما استطاع جمعه من معلومات. ويخصص فصلاً آخر يذكر فيه جميع السجناء الذين ماتوا هناك.

يصف المرزوقي، الذي كانت من نصيبه الزنزانة رقم 10 في المعتقل، العذابات التي قاساها هو ورفاقه، بدءاً بكمية الطعام القليلة ونوعيته السيئة، مروراً بالأمراض والأوبئة التي كانت تنتشر بينهم بسبب قلة النظافة وانعدام العناية الصحية، وانتهاءً بليالي البرد الشديدة، إذ كانت درجة الحرارة تنخفض إلى ما دون الصفر، من دون أن يكون لديهم ما يكفي من ألبسة وأغطية.

ويسرد حادثة الموت الأولى في الاعتقال بتوظيف مكونات السرد الأساسية: الأحداث، والزمن، والشخصيات، والمكان "في شهر شباط/ فبراير من سنة 1974، أي ستة أشهر تقريباً بعد رحيلنا إلى تزممارت، أسلم الروح إلى بارئها بعد معاناة شديدة الملازم محمد الشمسي في العنبر الثاني. كان المرحوم طيارا في مقتبل العمر، طويلاً متين البنية شديد السمرة، محبوباً ومحترماً من طرف جميع أصدقائه. ولم يكن أحد يتوقع أن يكون هو أول من سيدشن تلك السلسلة الرهيبة من الوفيات البشعة لأنه كان مرجعاً لرفقائه في الصبر والثبات ورباطة الجأش. كان الشمسي أياماً قليلة قبل محاولة الانقلاب على أهبة إلى الولايات المتحدة الأميركية للقيام بتدريب هناك. وشاء قدره العاثر أن يعوض في اليوم الموعود ضابط المداومة الذي استدعاه إلى بيته شغل طارئ، فكان ما كان،

[46] المرزوقي، أحمد (2012)، تزممارت، الزنزانة رقم 10، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص97.

[47] نفسه، ص93.

وألقي عليه القبض وهو لا يدري ماذا حدث، وحكم عليه بثلاث سنوات سجناً. منذ أول يوم في تزممارت، انطوى الشمسي على نفسه وغرق في صمت عميق، إلى أن أصيب بغتة بنوبة عصبية حادة...فلما فتح الحراس عليه الباب، سقط في الدهليز جثة هامدة" [48]

وإذا كان بعض النقاد قد اعتبر كتاب المرزوقي يصنف ضمن" محكي الحياة récit de la vieوأنه "كتابة اعتبرت من الدرجة الثانية لأنها نمت على هامش الأدب الرسمي، الاحترافي، وتجاوزت بعض مقومات "الأدبية" كما صاغتها وقعدتها نظرية الأدب، ومن هنا جاء استصغار النقاد لذا النوع من الكتابة، التي غالبا ما كانت مرتبطة بتجربة فريدة وواحدة عاشهتها الشخصية، ودون هذه التجربة ما كانت لتفكر في الكتابة وتقدم عليها" [49]. إلا أنني أعتبرها نموذجا للسيرة الروائية، حيث استغل الكاتب أحداثا حقيقية وأخضعها للبناء الروائي.

محكي الحياة "شكل من الأشكال التي تنتمي إلى مفهوم الكتابة عن الذات شأن السيرة الذاتية والاعترافات واليوميات الخاصة، والمذكرات والسير الذهنية. وهي من الأشكال التي تطرح قضية تطابق المضامين المسرودة مع حقائق الحياة الخاصة بكتابها" [50].

وعلى نهج باقي الكتب التي تناولت تجربة الاعتقال في تزمامارت، يسير كتاب محمد الرايس «من الصخيرات إلى تزمامارت: تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم»، الذي نقله إلى اللغة العربية الصحافي عبد الحميد جماهري. وشكل الكتاب إبان صدور ترجمته العربية، سواء عبر صفحات جريدة «الاتحاد الاشتراكي» أو عبر دور النشر المغربية، حدثا ثقافيا استثنائيا، على اعتبار أنه حقق مقروئية أكبر عبر الجريدة أولا، وانتشارا واسعا بعد صدوره في كتاب أنيق ثانيا.

صدر هذا الكتاب عبر حلقات في جريدة «الاتحاد الاشتراكي» أواخر تسعينيات القرن الماضي. ويتذكر عبد الحميد اجماهري، مترجم الكتاب، أن المؤلَّف أثار ضجة كبرى وخلق جوا مشحونا لما بدأت الجريدة في نشر حلقاته الأولى.

وزاد من قوة النص دقة محمد الرايسفي تحديد رتب العسكر وأسمائهم وشخصياتهم بل وعائلاتهم وتاريخهم أحيانا..ولا يكتفي الكتاب باستحضار شخصيات عسكرية فهناك الكثير من رجالات الدولة الذين كانوا حاضرين في قصر الصخيرات مثل علال الفاسي والمحجوب أحرضان. ثم إن محمد الرايس في محنته يروي عن شخصيات مثل أوفقير واعبابو والمذبوح عن سابق معرفة ولقاء بهم

[48] نفسه، ص142–143.

[49] محمد خفيفي، الحكي الجريح، ص22.

[50] نفسه، ص22– 23.

وليس فقط بالسماع. والأكثر درامية وجرأة في شهادته اعترافه بقتل أحد رهائن قصر الصخيرات بأمر من اعبابو.

نقتنص من كتابه المشهد التالي: "يوم 22 فبراير 1974 كان يوم حداد، فقدنا فيه كائنا بشريا، ويبدو أن محمد شمسي تصبب عرقا من كثرة الصراخ والحركة، فتعرى ثمصب على رأسه وجسده إبريق ماء مثلج لأن الفصل شتاء فخر صريعا في الحال "[51].

تكمن قوة هاتين الشهادتين في أنهما "ترصدان نفس الحدث وترويان نفس الوقائع من خلال "رؤية عسكرية" هاجسها الأساس تنفيذ القرارات والانصياع للأوامر. وقد كُتبتا بعيدا عن "الأهواء " السياسية والإيديولوجية، والانقسامات والصراعات الداخلية التي تقود عادة إلى "التصرف" في الواقعة، وسردها بصيغة توجه "مجرى القصة وتؤولها وفق غايات أخرى غير ما تشير إليه الأحداث الفعلية من خلال تسلسلها المباشر[52].

وتحدثت هذه الكتابات عن كل شيء، تحدثت عن الانقلابات والمظاهرات والعمل السري والملاحقات والمطاردات والاعتقال والتعذيب والنفي والتنكيل بالأهل والأصدقاء والأقارب، بل "إن بعض جلادي الأمس أنفسهم أخذتهم الغيرة من ضحاياهم فخرجوا عن صمتهم وبدأوا يتحدثون عن القمع وعن أقبية سرية قالوا إنها كانت منتشرة في كل أرجاء الوطن، وتحدثوا عن جرائم واغتيالات وشراء للذمم، وهي حقائق كانت إلى الأمس القريب من الأسرار التي لا يمكن تداولها سرا أو علنا (شهادات عميل المخابرات السابق أحمد البخاري)، وتحدث البعض الآخر عن حياة بعض رجالات النظام وصراعاتهم ودسائسهم" [53].

شهادات تختلف عن بعضها البعض من حيث المرجعية السياسية والإيديولوجية، ومن حيث الصياغة وترتيب الأحداث، ومن حيث موقع الذات الساردة من مادة سردها.ومع ذلك، وفي هاتين الحالتين أيضا "لا نعدم وجود فوارق واختلافات تميز الشهادتين عن بعضهما البعض. فعلى الرغم من أنهما يحكيان نفس الأحداث (الانقلاب العسكري الأول) ويتحدثان عن نفس الشخصيات (اعبابو ومن معه) ويصفان الحياة في المعتقل نفسه (تزمامارت)، فإنهما يختلفان في تصوير هذه

---

[51] الرايس، محمد، (2000)، تذكرة ذهاب وإياب، مذكرات محمد الرايس، ترجمة عبد الحميد الجماهري، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، منشورات الاتحاد الاشتراكي، ص144.

[52] بنكراد، سعيد، أدب السجون في المغرب: من الشهادة إلى التخييل. انظر https://anfasse.org/fellmongering/likelihead/1410_21179.xhtmlWebاطلع عليه يوم 7 ماي 2021م.

[53] نفس المرجع.

الوقائع وتأويلها وتبريرها أيضا. وهو ما يبدو من خلال " التعليقات " المتعددة الواردة في نص الرايس، وهي تعليقات "إيديولوجية" منحازة تذم وتسفه وتبرر وتكذب و" تكشف" عن حقائق يجهلها الناس. الأمر الذي لا نعثر عليه، أو نادرا ما يكون كذلك في نص المرزوقي [54].

النموذج الثالث رواية "حديث العتمة" [55]لفاطنة البيه، حيث استهلت الكاتبةالحكي عن تجربتها بعملية الاختطاف من منزل أحد رفاقها في حي المحيط بالرباط، والزج بها في السجن لكونها، في نظر المحققين، تشكل عنصرا خطيرا. ثم تصور مختلف أشكال التعذيب الجسدي والنفسي لنزع الاعتراف منها وتلفيق ملف محاكمتها الصورية. والحكي في مجمله يتناول الاعتقال السياسي الذي طال الكثير من المناضلين اليساريين المتهمين بزعزعة النظام والتآمر ضد رموز السيادة الوطنية.

وتحكي الساردة بأنها قضت تسعة أشهر مختطفة دون أن يعرف لها أثر، فكانت في عداد المفقودين. وهي مرحلة صعبة عاشتها السجينة متحملة مختلف ألوان التعذيب محرومة من الزيارات العائلية، والتمتع بحقوق بسيطة مثل قراءة الصحف والجرائد، والتعبير عن آرائها ومطالبها المشروعة في الحرية.

قضت ثلاث سنوات دون محاكمة، ليحكم عليها بعد انقضائها بخمس سنوات، إلى أن تمكنت رفقة معتقلات سياسيات أخريات من انتزاع بعض المطالب المشروعة وذلك عبر الإضراب عن الطعام والاحتجاج، فضلا عن الانشغال بمتابعة الدراسة لتبديد العزلة القاتلة في الزنزانة.

لقد ظلت هذه الكتابات، في أغلبها، أسيرة الوقائع التاريخية بكامل إكراهاتها (إكراهات الفضاء والزمن والإحالات على شخصيات لها امتداد في الواقع... الخ). فقد استمدت مضامينها الأساس من تجربة فعلية عاشها أفراد في السجون والمعتقلات السرية أو مخافر الشرطة.

خاتمة واستنتاجات:

أولى الاستنتاجات تتمثل في الاختلاف الواضح بين تجربتي أدب الاعتقال السياسي (ما قبل استقلال المغرب وبعده)، تميزت الأولى في كون الاعتقال مناسبة للإبداع الأدبي، شعرا ونثرا من خلال النماذج المدروسة، وأن الذات المعتقلة كانت تدافع عن قضية وطنية كبرى هي المطالبة باستقلال المغرب، وأن السجّان كان هو الاستعمار الفرنسي، ما يفسّر أن المعتقل ينظر إلى الاعتقال رمزا للتضحية ولمَ لا البطولة، مع العلم أن المرجعية الدينية الوسطية تجمع بينهم فكرا وعقيدة وممارسة.

[54]نفس المرجع

[55]لبيه، فاطنة، (2001)، حديث العتمة، الدار البيضاء، المغرب، نشر الفنك،

الذات المعتقلة كانت تشعر بمساندة حقيقية خارج الأسوار، هي مساندة جماعية، وأن بوادر الانفراج السياسي تلوح في الأفق. كما أن معظم المعتقلين السياسيين يملكون ناصية الأدب، لم يكلفوا من ينوب عنهم في صياغتها وتأليفها.

في مقابل النموذج الثاني (ما بعد الاستقلال)، خليط من التيارات الفكرية والإيديولوجية، منهم العسكر واليساريون والجلادون، اعتقلوا لأسباب سياسية محضة، لعل أبرزها محاولتين انقلابيتين فاشلتين على الحكم، وما كان من النظام إلا اتخاذ قرارات صارمة في حقهم.

إذا كانت بعض المؤلفات افتقرت للانسجام والبناء المتماسك الضروريين في كتابات تدون لمرحلة من حياة المعتقل ومن تاريخ المغرب، إما بسبب الوساطة التي أوكلت للبعض لتحرير تجارب الآخرين، ولم يكونوا في مستوى تلك المهمة، أو بسبب ضعف التكوين والمراس الأدبي، (المجموعة الثانية) فغلب عليها الطابع الإخباري التقريري الذي يجعلها أقرب للوثيقة التاريخية منها للنص الأدبي، وهذا يخدم البعد الوظيفي الذي لا يقلل من قيمة المكتوب، ولكنه يصنفه في خانة أخرى لا علاقة لها بالإبداع الأدبي.

إن ذلك لا يغيب القيمة الفنية والأدبية لعدد من النصوص التي تجعل مؤلفيها أدباء بامتياز، مالكين لناصية الحكي، متمرسين بتقنيات الكتابة على مستوى الأشكال الأدبية التي صاغوا بها إبداعاتهم، ولا يهم أن يكون المعتقل كفضاء هو من أطلق العنان لهذه الملكات وحررها من قيودها، بل وعمل على صقلها، إضافة لاستعدادهم البوحوالكشف عما جرى، ففي تازمامارت مثلا استطاع عدد منهم حفظ القرآن وقواعد النحو، مما ساهم في تأهيليهمللكتابة باللغة العربية، والتعبير بها.

وأمام تجاوب القراء مع هذا النوع الجديد من الكتابة المطبوعة بالذاتية المفرطة تدرج أدب الاعتقال السياسي إلى القمة، وذاك ما هدده بالانزلاق أحيانا إلى "التسويق" للذات على حساب الذاكرة الجماعية الجريحة.

كما نستنتج أيضا أن كتابة الإعتقال السياسي ساهمت في بناء الذاكرة الجماعية المشتركة لمرحلة مهمة في تاريخ المغرب على امتداد ما يقارب ثلاثة عقود، كانت ولا تزال الكتابة عبرهاتأشيرة نحو الحرية والتحرر، بها ينحاز الكاتبإلى تطهير ذاته والتنفيس عن آلامه بتشييد العوالم المليئة بالآمال والأحلام والمحكيات، وبتنوع الخطابات والنماذج والأشكال داخل الفضاء الأدبي ليعيد الحياة لزمن انقضى واقعه، لكنه لا يزال رابضا بمخلفاته وآثاره على الذاكرة والجسد معا.

ورغم الاختلاف بين الفريقين، إلى أن تلك الكتب أغنت الخزانة الأدبية المغربية، وفتحت للباحثين والنقاد فضاء أرحب لاستثمارها في بحوثهم الأكاديمية، بل وأغنت خيال المبدعين السينمائيين

لإخراج أفلام تمتح من أحداثها الواقعية مثل فيلم "درب مولاي الشريف.. الغرف السوداء " وهو دراما مغربي من إخراج حسن بنجلون سنة 2004.

أدب الاعتقال السياسي في المغرب فضاء خصب للدراسة والتحليل، وقفنا في هذه الدراسة عند جزء منها، أملا في أن تتحرك أقلام الباحثين والنقاد لإخضاع مكوناته الحكائية والأسلوبية واللغوية لمزيد من الاهتمام والبحث.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. القرآن الكريم
2. الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج4، دار المأمون، الطبعة 4، عمان، الأردن. د.ت
3. الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك العبسي، **ديوان الحطيئة**، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1993.

المراجع:

4. الحوفي أحمد محمد، **أدب السياسة في العصر الأموي**، دار القلم، بيروت لبنان د.ت، د.ط.
5. الداهي محمد، **الحقيقة الملتبسة، قراءة في أشكال الكتابة عن الذات**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2007.
6. الرازيمحمد ابنأبي بكر، **مختار الصحاح** د.ط، دار الفكر بيروت لبنان، د.ت.
7. الرافعي مصطفى صادق **تاريخ آداب العرب**، ج 1، لبنان، دار الكتاب العربي. ط 1، 2003.
8. الرايس محمد،، **تذكرة ذهاب وإياب، مذكرات محمد الرايس**، ترجمة عبد الحميد الجماهري، الدار البيضاء، المغرب، منشورات الاتحاد الاشتراكي، ط 1، 2000.
9. الفاسيعلال، **في منفى الكابون1937** – 1946إعداد وتقديم عبد الرحمان بن العربي الحريشي، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، ط 1 2004.
10. الماورديعلي بن محمد بن جبيب، **الأحكام السلطانية**، دار الكتب العلمية،، القاهرة، مصر د.ط، د.ت

11. المرزوقي أحمد، **تزممارت، الزنزانة رقم10**، منشورات طارق، الدار البيضاءط1، 2012

12. ابن منظور جمال الدين بن مكرم، **لسان العرب**، ج 7، دار صادر، بيروت، 2003، (مادة سوس)

13. إسماعيل عز الدين، **الأدب وفنونه**، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 9، 2013.

14. خفيفي محمد، **الحكي الجريح، قراءات في أدب الاعتقال السياسي بالمغرب**، دار التوحيدي، الرباط، 2014، ط 1.

15. سبيلا، محمد، **للسياسة، بالسياسة**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب ط 2، 2010.

16. شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

17. عيد يوسف، **المدارس الأدبية ومذاهبها**، بيروت، دار الفكر، ط1، 1994.

18. غلاب عبد الكريم، **سبعة أبواب**، القاهرة، مصر، دار المعارفط 1، د.ت.

19. فطري أحمد، **الأدب السياسي عند عبد الكريم غلاب**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1982م.

20. محمد علي **محمد، الشعر السوداني في المعارك السياسية**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ط، 1969.

21. مرتاض، عبد الملك **نظرية النص الأدبي**، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007م.

22. وادي، طه، **الرواية السياسية**، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1996.

المقالات:

23. السوسي رضى الله، **العلامة محمد المختار السوسي، المؤرخ للوطنية**، مستفاد معتقلي أغبالو نكردوس، نشر في جريدة التجديد المغربية بتاريخ08 أكتوبر 2005.

24. بحراوي، حسن، **الرواية والديموقراطية، تأملات في السيرة السجنية بالمغرب**، أعمال ندوة الرواية العربية في نهاية القرن، منشورات وزارة الثقافة 2003 .

25. برعيش التازي، **شعرية المحكي السجني في أدب عبد القادر الشاوي الرّوائي**.

https://www.aljabriabed.net/n78_05beriach.(2).htm

26. بنكراد سعيد **أدب السجون في المغرب: من الشهادة إلى التخييل**، https://anfasse.org/fellmongering/likelihead/1410_21179.xhtmlWeb

27. رؤى حيدر المومني، **مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب** والسياسة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 46، العدد 2، 2019

28. عبد الرحيم المودن: **«السارد والحكاية: قراءة في «سبعة أبواب»»**. مجلة آفاق. عدد:2. 1991. الرباط.

ظهائر:

29. ظهير شريف رقم 255.02.1 صادر في 25 من رجب 1423 (3 أكتوبر 2002) بتنفيذ القانون رقم 01.22 المتعلق بالمسطرة الجنائية.